ثلاثة أنصاب آرامية مصدرها السفيرة

معاهدة تبعية من القرن الثامن قبل الميلاد

بقلم : اندره دوبون سومير
استاذ في السوربون

تعريب وتلخيص عدنان البني

في ٢٠ حزيران ١٩٣٠ أورد ر . دوسو أمـام مجمع الكتابات والآداب في باريس نبأ اكتشاف كتابة آرامية هـامة في جوار حلب تذكر « ماتي عل ملك ارپاد » وقد أدرك حالاً بفطنته المعتادة أن هذا الملك الآرامي ماتي إيلو _ الصيغة الاكادية لكلمة ماتي عل - المعروف في كثير من الوثائق الآشورية وخاصة في احدى اللوحات التي حفظت نص المعاهدة التي فرضها عليه آشور نيراري الخامس في عام ٧٥٤ قبل الميلاد .

وقد علم دوسو بنبأ الكتابة الآرامية من تاجري آثار في حلب ابتاعاها من شيخ السفيرة وقرويهـا . والسفيرة قرية كبيرة واقعة على بعد ٢٦ كم إلى الجنوب الشرقي من حلب في مكان مدينة قديمة ذات شأن بدليل وجود تل كبير فيهـا (هي دون شك مدينة شيري القديمة) وفي الواقع وجدت كمية من القطع المكتوبة يدل نوع حجرها وشكل حروفها ولغة نصوصها ومحتواها على أنها من أصل واحد . وقد عهد بدراسة هـذه القطع للأب رونزفال الاستاذ في جامعة القديس يوسف في بيروت (١) الذي أدرك أن هذه القطع انما تعود لعدة

(١) راجع تعليقات المؤلف وملاحظـاته ومراجع بحثه في النص الاصلي المنشور في القسم الاجنبي من المجلة « المعرب »

أنصاب أولها محفوظ بقسمه الأعظم والثاني بقي منه قطعة تضم « قرابة ثلاثين سطراً » وهناك قطع صغيرة يستحيل ردها إلى أحد النصبين المذكورين فهي تستدعي وجود نصب ثالث على الأقل . ومنذ عام ١٩٣١ نشر الأب رونزفال مذكرة تحتوي على نقل للنصب الأول بكامله مرفقاً بمحاولة أولى للترجمة وقد قدمّ دوسو هذه المذكرة إلى مجمع الكتابات والآداب في ١٦ تشرين الأول ١٩٣٤ مضيفاً اليها عدداً من الملاحظات التي أظهرت أهمية هذه الوثيقة من الناحية التاريخية ، إذ أنها عبارة عن نص معاهدة تحالف بين ملك أرپاد وعاهل مملكة أخرى تدعى كتك .

وقد لفتت مذكرة رونزفال في الحال انتباه العلماء المعنيين بالشؤون السامية والمؤرخين وعقدت حولها عدة دراسات . ولكن الاختصاصيين لم يكن لديهم لسوء الحظ سوى مانقله الأب رونزفال وهو لايخلو من البراعة ولكنه تم في ظرف غير مؤاتية فكثير من القراءات كانت تبدو غاية في الإبهام كما أن الصور المنشورة كانت لتفاهتها لاتمكن أبداً من التحقق من ضبط تلك القراءات أو من تصحيحها . ومن ناحية ثانية لم ينشر الأب رونزفال سوى نصب واحد — وهو الأسلم — دون أن يعرّف بمحتوى النصبين الآخرين .

وعلى هذا فإن من الواضح أن طبعة جديدة وكاملة للنصوص الآرامية المكتشفة في السفيرة كانت من الأمور المتمناة . ولكن الوثائق الأصلية بقيت عملياً ، لأسباب مختلفة ، سنين عديدة غير متيسرة . ولم تنته هذه الحالة المؤسفة إلا في عام ١٩٤٨ ففي هذا التاريخ استطاع متحف دمشق أن يمتلك أكثر القطع المكتشفة في السفيرة [١] وبعضها من النصب الذي نشره رونزفال ونسميه النصب الأول وبقية القطع أجزاء من نصب ثان مماثل له بالشكل ذهب قسمه الاعظم ونسميه النصب الثاني . وبعد وقت قليل استطعنا خلال احدى بعثاتنا للمشرق الادنى دراسة النصبين الأول والثاني في متحف دمشق وقد تفضل الدكتور سليم عبد الحق المدير العام للآثار في سورية بان يعطينا حق نشرها وكلف دوائر المتحف بان تخرج لنا صوراً ممتازة ومستنسخات مكنتنا عند العودة إلى باريس من متابعة دراستنا فليسمح لنا أن نعبر له عن شكرنا الحار الصادق .

---

(١) لنذكر أن اقتناءها انما يرجع للامير جعفر الحسني الذي كان آنذاك مديراً عاماً للآثار في سورية .

وكان هناك جزء مؤلف من قرابة ثلاثين حرفاً أشار اليه الأب رونزفال مايزال مفقوداً وهو الذي يجعل الاكتشاف كاملاً . وبينما كنا نتهيء لنشر النصبين الاول والثاني سرت ضجة حول وجود كتابة آرامية في حوزة تاجر آثار في بيروت وأرسلت لنا نسخة موقتة عنها فعرفنا حالاً أن هذه الكتابة الجديدة التي تتضمن ٢٠ سطراً بالضبط يجب ردها ، بسبب شكل كتابتها ومحتواها العام ، إلى مجموعة كتابات السفيرة بل يجب أن نعتبرها نفس الجزء الذي يضم ثلاثين سطراً والذى تحدث عنه الأب رونزفال ، وقد اقتناه متحف بيروت عام ١٩٥٦ وهو الآن معروض فيه وقد درسناه عام ١٩٥٧ في مكانه ونشرناه ونحن نسميه النصب الثالث .

والحروف في الكتابة الأخيرة لاتقل عن ١٦٠٠ ، فيها قسم كبير من بنود المعاهدة وتساعد على تفسير النصبين الأول والثاني ، وقراءتها بصورة عامة واضحة سهلة بينما نجد قراءة النصبين الأول والثاني تعتورها غالباً مصاعب بالغة . وقد كان نشر النصبين الأول والثاني دون دراسة النصب الثالث خطيئه منهجية . وقد عمدنا حال نشر النصب الثالث الى نشر النصبين الأول والثالث ، وقد صدرت الطبعة منذ وقت قريب . لقـد بقي من النصب الأول حوالي ٢٥٠٠ حرف ومن النصب الثاني قرابة ألف ، فاذا ما أضفنا اليهما النصب الثالث فإن مجموعها يربو على خمسة آلاف فهو يزيد كثيراً عن مجموع الكتابات الأرامية القديمة التي عرفت من قبل ، وله أهمية كبرى سواء من ناحية الكتابة واللغة الأراميتين أم من ناحية تاريخ سورية السياسي والديني حوالي منتصف القرن الثامن قبل الميلاد وتاريخ الحقوق الدولية القديمة ، وذلك مانرغب في إظهاره في المقال الحالي . ولكن علينا باديء ذي بدء أن نقدم كلاً من الانصاب الثلاثة مع ترجمة الكتابات المنقوشة عليها .

* * *

النصب الاول

كان هذا النصب المرمم بمهارة في متحف دمشق شكله هرم مقطوع ، ارتفاعه ١,٣١م ، سمكه عند القاعدة ٣٤ سم ، وعرضه حالياً عند القاعدة ٦٦ سم من الامام و ٦٩ من الخلف . الجانب الأيسر من النصب هو حالياً خال من الكتابة ومن الجدير بالذكر أن النصب قد

شقت منه عمداً شظية من الأعلى الى الأسفل فزالت معها خمسة أو ستة حروف من آخر كل سطر في الوجه الأمامي وخمسة وستة حروف من مطلع كل سطر من السطور في الوجه الخلفي ، وكذلك كل الكتابة التي كانت منقوشة في الغالب على الجانب الايسر . وهذا الامر الذي خفي عليّ أول من نشر النصب بدا لنـــا أكيداً من ناحية شكل النصب ومن ناحية تأويل الكتابات المنقوشة عليه .

ومثل هذا النقص مضافاً الى أن الكلمات لا فواصل بينها يجعل مهمة المترجم دقيقة جداً ، وفوق ذلك هناك حروف مشوهة كثيراً أو مطموسة تماماً ، الأمر الذي يجعل بعض فقرات النص ممتنعة على أي تفسير أكيداً كان أو محتملاً ولكن الجانب الأكبر على ما نعتقد هو اجمالاً قمين بترجمة صحيحة تماماً .

... وإليك الترجمة التي نقترحها للنصب الاول كله :

الوجه الأمامي (آ)

العنوان :

مواثيق بورغاياه ملك كتك مع ماتي عل ابن عتار سمك ملك [أرپاد وموا] ثيق أبناء بورغاياه مع أولاد ماتي عل ومواثيق أحفاد بورغا [ياه و] ذرية [ه] مع ذرية ماتي عل بن عتار سمك ملك أرپاد ومواثيق كتك مع [مواثيق] أرپاد ، ومواثيق مواطني كتك مع مواثيق مواطني أرپاد ومواثيق دو [له أورارة] و مع آرام كلها مع (ملك) مصرو ومع أولاده اللذين يتسنمون العرش بعـد [ه] و [مع ملوك] كل آرام العليا وآرام السفلى ومع كل من يلج قصراً ملكياً .

الآلهة الشهود :

وهذا النـ [صب مع هذه الكتابة] وضعها وكذلك هذه المواثيق . وهذه المواثيق (هي ما) أبرمه بورغا [ياه : أمام ....] وملش وأمام مردوك وزرپانيت وأمام نبو وتا [شميت وأمام إيرا ونوسـ] كو وأمام نرغال ولاش وأمام شمش ونير ؟ وأمام س [........ وأ] مام ناكار وكديئه وأمام كل آلهة رحبة وآدم [وأ ... وأمام حدد حـ] لب وأمام سبتي وأمام ايل وعليون وأمام السما [ء والأرض وأمام الهـ] وة والينابيع وأمام النهار والليل [وهم] شهود

[انتم] باجميع آ [لهة كتك وآلهة آر] [باد] افتحوا أعينكم كي ترون مواثيق برغاياه [مع متي عل ملك] [آباد] .

لعنات ضد ماتي عل إذا خان المواثيق

وماتي عل بن عتار سماك ملا [ك آرباد] إذا خان برغايا [ه ملك كتك وإذ] ا خانت ذرية ماتي عل [ذرية برغاياه . .] . [. . . . . بني] . غوش . [. . . . .]

١٧ ـ ٢٠ [أربعة أسطر مطموسة تماماً] .

٢١ [. . . وسبعة كباش ينزون] على نعجة فلا تحمل ! وسبع [مر] ضعات يعصر [ن اثداءهن] ويرضعن طفلاً فلا يشبع ! وسبع أفراس ترضع مهراً فلا [يشبع ! وسبع] بقرات ترضع عجلاً فلا يشبع ! وسبع نعجات ترضع حملاً و [لا يش] بع ! وسبع دجاجات تذهب بحثاً عن الغذاء فلا تتلف شيئاً !

وماتي ع [ل] إذا خان < بارغاياه > [و] وولده وذريته فلتصبح مملكته كمملكة الوهم < > ، يسود عليها آشور ! و [ليصب حـ] دود كل صنوف الشر [الموجود] في الأرض وفي السماء وكل أنواع الكروب ! وليصب على أرپاد [حجارة من البـ] رد ! وسبع سنين يلتهمها الجراد ! وسبع سنين يأكلها الدود ! وسبع [سنين يصـ] عد (؟) الطوى على سطح بلاده ! فلا يعد ينبت فيها عشب ، ولا يعد يُرى فيها أثر للخضرة ولا [يعد يُرى] نباتها ! ولا يعد يسمع صوت القيثارة في أرپاد وشعبها (ولكن) قعقعة المخرّب وضجيـ [ج (؟) الفا] تح والنواح ! ولترسل الآلهة مفترسين من كل نوع إلى أرپاد وشعبها ! [فليفترس شدق الحية وشدق العقرب وشدق الزنبور وشدق الفهد والعث والهوام ! وعلا [وة على ذلك لنقض] عليها الحجل (؟) ! [ليكتـ] سح كالصحراء نباتها ! ولتصبح أرپاد ركاماً من الخرائب وتكون [مأوى لحيوان الصحراء و] للغزال وابن آوى والأرنب وللهر البري وللبوم و . . . . وغراب البين (؟) ! ولا يعد هناك ذكر [لهذه] المد [ينة ولا] لميدورا ولا لمربه ولمزه ولا لمبله ولا سارون وتوبيم ولا بيثل ولا بين ولا [. . . . ، . ولا آ] دنه (؟) ولا هزاز ولا آدام !

اللعنات المرافقة للطقوس

وكما يحترق هذا الشمع في النار كذلك تحترق أرپاد و [بناتها العد] يدات وليزرع حدد فيها ملحاً وجرجيراً ، ولا يعد لها ذكر !

هذا الشقي (؟) وهذه [النفس] هما ماتي عل ونفسه : وكما يحترق هذا الشمع في النار فكذلك يحترق ما [تي عل في الن] ار .

وكما يتحطم هذه القوس وهذه السهام يحطم آناهيتا وحدد [قوس ماتي عل] وقوس كباره

وكما يعمى رجل الشمع ليعمى ماتي ء [ل] !

[وكما] قطّع هذا العجل فليقطع ماتي عل وليقطّع كباره !

[وكما يستخ] [دم هذ] ا فلتستخدم نساء ذريته ونساء كبا [ره] .

[وكما] [تخطف هذه المرأة من الشمع] وكما تضرب على وجهها لتخطف [نساء ماتي عل ونساء كباره ولتضرب وجوهن !

الوجه الخلفي (ب)

مدخل الى شرح بنود المعاهدة

[هذه مواثيق برغاياه ملك كتك مع ماتي عل بن عتار] [سمك ، ملك أر] پاد ومواثيق ابناء برغاياه مع ابناء ماتي عل ، ومواثيق [أحفاد بار] غاياه مع ذرية ماتي عل ، ومع ذرية كل ملك أيا كان [سيحكم] مكانه ، ومع بني غوش ومع بيت صلل (؟) ، ومع آرا [م كلها ؟ ومواثيـ] ق كتك مع مواثيق أرپاد ومواثيق مواطني كتك مع مواثيـ] ق مواطني أر] پاد وشعبها ، ومواثيق آلهة كتك مع مواثيق آ] لهة أرپاد] . [و] هي مواثيق إلهية [مواثيق] أملتها الآلهة .

فليحكم بسعادة [بارغاياه إلى الأ] بد [ك] ملك عظيم ! وبهذه الم [واثيق] ، السماء . . . ! و [هذه] المواثيق [جميع الآلهة لتحرر (بها) ! ولا تسكت أي كلمة من هذه الكتابة [ولتسمع (؟) من] . ركو حتى يأودي (؟) و بز (؟) من لبنان حتى يب [. . و . . . . . و . . . . ب] بيت غوش وشعبها وهيكله (؟)

المواثيق [هذه . . . .] . . . . في موشرو (؟) ومربباه (؟) [. . . . . : . . . .] ، . . . . إلى ماتي عل

١٤ - ١٦ (بضعة حروف مقروءة)
١٦ - ٢٠ (خمسة سطور مطموسة تماماً)

بنود المعاهدة

٢١ [. . . . . .] لأجل بيتك

و (إذا) لم يطع ابناؤه ولم يطع شعبه] [ولم يطع] كل الملوك الذين سيحكمون في أرباد . . [. . . . .] [. . . . .] . . . . ، تكونون قد خنتم كل آلهة المواثيق الذين [(وردت اسماؤهم) في هذه الكتابة] .

[ولكن إذا] [اطعتم واتمـ] متم هذه المواثيق . وإذا قلت : « إنه رجل (عقـدت معه) مواثيق » [أنا لا يمكنني] [أرفع يدي] ضدك ، وابني لن يستطيع أن يرفع يده ضد ابن [ك] ولا ذريتي ضد ذرية [ك] . [وإذا] [تكلم] ضدي أحد الملوك أو أحد أعدائي و (اذا) قلت لكل ملك [أيا كان] : « ماذا [ستعمل] أنت ؟ » [واذا رفـ] [ع يده ضد] ولدي وقتله أو رفع يده واستولى على جزء من أرضي أو ممتلكاتي ، [تكون] خنـ] ت المواثيق] (الواردة) في هذه الكتابة .

واذا أتي أحد الملوك وحاصرني جـ [يشك] يأتي [إلي مع] كل . . . . . وكل (نهاية هذا السطر تستعصي على الترجمة) [. . . . . .] وجثة . . . . . على جثة في أر [بـ] اد (؟) (نهاية هذا السطر تستعصي على الترجمة) [. . . .] ولكن اذا في اليوم حيث الآلهة . . . . ، لاتأتي بجيشك و (اذا أ [نت لم تأ] ت مع جيشك لحماية بيـ [ت] ي ، [واذا ذر] يتك [لم تأت لحماية ذريتي [تكون قد خنت] آلهة المواثيق (الواردة) في هذه الكتابة .

و . . . . معي ، يمكنني (شرب) ماء [بئر . . . .] وهذا البئر أيا كان المحدق به لن يتمكن من هدمه] (؟) ولا ترفع يدك على ماء البـ [ئر و] الـ [ملك (؟) الذي سوف يدخل ويأخذ لبكه أوح . . . . الذي سيستولي . . . . . . [. . . .] ليقتل . . . . في مدينة إميم وإذا لم (تعمل) ذلك تكون قد خنـ [ت هذا الميثاق (؟)] و (كل السطر ٣٨ يستعصى على الترجمة)

[. . . .] . ولكن اذا لم تسلم مؤني [أو اذا استـ [لمفت] مؤنا من أجلي ولم تسلمني إياها تكون قد خنت هذه المواثيق .

[وأنت سوف لن ؛ [كنك أن تستاف مؤنا . . . . من أجلـك (؟) ونفسك وسوف تذهب [٠] [. . . . .] ولبيتك . . . . . أجنبي . . . . . لنفسي ولكـ [ل أهل بيتي ولأجل (؟) . . .

٤١ - ٤٥ (هذه السطور الخمسة الأخيرة مشوهة جداً الأمر الذي يحول دون ترجمتهـا بشكل مترابط) .

الجانب الأيمن (جـ)

توصيات ماتي عل لخلفائه

كذلك قلنا (؟) [. . .] . . .

ان ما أكتبه [أنا ماتي] عل (لهو) تذكرة لولدي وو (لد) ولدي الذين سيعتليان العرش ؛ [بعد] ي : بقصد الخير فليعملا [أمام (؟] الشمس [لأجل بيتي] الملا [كي حتى] لا [يحمل شر على] بيت ما [تي عل وابنه و] [ابن] ابنه الى [الأبد]

مباركة

[. . . . .] . . . [. . .]

١٠ - ١٣ (اربعة سطور مطموسة) .

١٤ - (حرف واحد مقروء - فحسب) .

لتحرس الآلهة الذي أيامه والذي بيته !

لعنة

ولكن من لا يحافظ على عبارات الكتابة ، الموجودة على هـذا النصب بل يقول : « سأطمس بعض كلماتها » أو « سأقلب الخير وأبدله بشر » في اليوم الذي يتصر [ف] بهذا الشكل لتقلبه الآلهة ، هذا الانسان ، وبيته وما فيه ولتجعل سافله عاليه ولا ترث أرو [مته] اسماً .

* * *

النصب الثاني

النصب الثاني الذي لم ينشر حتى الآن وصلنا مجزءاً جداً ولكن يبدو أن له شكل النصب الأول ومقاييسه ومحتواه العام .

واليك الترجمة التي نراها لأجزاء النصب الثاني :

الوجه الأمامي (آ)

وما بقي منه شبيه جداً بالنص الموجود على الوجه الأمامي في النصب الأول ولكن لايماثله حرفياً وهو جزء من اللعنات الموجهة الى ماتي عل إذا خان المواثيق .

الوجه الخلفي (ب)

وكذلك فان مابقي من كتابة الوجه الخلفي هو نص مشابه ، ولكن غير مماثل حرفياً للوجه الخلفي من النصب الأول : وهو عبارة عن جزء من مواد المعاهدة ، وكل من المواد تنتهي بالصيغة المميزة « ... تكون قد خنت جميع آلهة المواثيق ... » أو « تكون قد خنت هذه المواثيق » .

الجانب الأيمن مفقود كله .

الجانب الايسر (ج)

يحمل كتابة تختلف قليلاً عن مثيلتها في النصب الاول . ومطلع هذه الكتابة ناقص ولكن هناك ١٧ سطراً كاملة تقريباً . والكتابة تتألف من لعنات على من يمس الكتابة أو الانصاب وهي بمثابة خاتمة للمعاهدة .

لعنات

[وكل من سيعز] م على محو هذه الكتابات من الأنصاب المنقو [شة] عليها وي [قول] : « سأمحو الكتابات وكله [ة] كله [ة] سأمحو كتك وملكها » فليحل الوعب به لأنه محى كتابات الأنصاب وليقل لمن لايعلم : « اينما سأنفى سأنفى » وليـ [مت هو] وأولاده فريسة للضنى .

.... وجميع آلهـ [ة الموا] ثيق الواردة (اسماؤها) في [هذه] الكتابة ا [تذهب] بماتي عل وولده وولد ولده وذريته وكل ملوك أرپاد و كل كبارها وشعبهم وبيوتهم وأيامهم

النصب الثالث

لم يبق من النصب الثالث سوى جزء كبير هو الآن في متحف بيروت كما ذكرنا وهذا

الجزء مؤلف من تجميع تسع قطع وعرضه ١,٠٢٥ م وارتفاعه ٨٣ / ٠, م وهو مزين من الأعلى بافريز وفوق الافريز نجد سطح الحجر غير مهذب ، وتحته هيىء الحجر لنقش الكتابة . مجموع الكتابة الباقية ٢٩ سطراً وكان السطر بالأصل يضم من ٦٠ – ٦٨ حرفاً ، لاينقص من ٢٨ سطراً سوى القليل ولكن النقص يزداد تدريجياً في السطور الستة الأخيرة ، ومن الأكيد أن هناك سطراً أو عدة سطور ناقصة في الأسفل اوهناك نقص في مطلع السطر الأول . والمرجح أن هذا الجزء من الحجر هو من ظهر النصب (كما هي الحال في نصب اسرحدون المكتشف في زنجرلي) . وكان طول نصب السفيره الثالث الذي نحن بصدده حوالي مترين ، وقد يكون قسمه العلوي نصف دائري كما كان المألوف في أنصاب ذلك العصر ووجهه مزيناً ببعض الاشكال والنقوش البارزة وقد تكون الكتابة تغطى النقوش أيضاً . وكان الجزء الحالي قد انتزع عمداً من النصب ويبلغ ثخنه ١٦ سم أما ثخن النصب فقد كان بالأصل ضعف ذلك .

والكتابة الموجودة على هذا الجزء ، مهما كان طولها فانها لم تحفظ لنا سوى المقطع الأخير من المعاهدة الذي يحتوي على البنود وفقدت المقاطع الأخيرة .

(يقول الأستاذ سومير في الحاشية أن بقية الأجزاء قد تكون عند تجار الآثار أو تظهر في حفريات منهجية في تل السفيرة – المعرب) ولكن الجزء الذي لدينا أكثرها أهمية لأن المقاطع المماثلة في النصبين الأول والثاني في حالة سيئة . وإليك الترجمة الكاملة لهذا الجزء من النصب الثالث :

تسليم الأفراد الذين يقفون مواقف معادية للعاهل

[ومن يأتي إليك] أو إلى ابنك أو ذريتك أو الى أحد ملوك أرباد وية [كلم] ضدي أو ضد ولدي أو ضد ولد ولدي أو ضد ذريتي ، وكذلك كل فرد يتضرع من أجل حياته ويتكلم بسوء عن سلو [كي (؟) و] باليد التي تقبض هذه الكلمات يجب أن تسلم هؤلاء (الأفراد) ليدي وابنك يجب أن يسله (م) لابني وذريتك يجب أن تسله (م) لذريتي وذرية [كل م] لوك أرباد يجب أن يسلموني (إياهم) . وإذا راق لي الأمر ، سأسامحهم وإذا (أنت) لم (تعمل) ذلك تكون قد خنت كل آلهة المواثيق (المذكورين) في [هذه] الكتابة .

تسليم الفارين

وإذا فر من عندي أحد ضباطي أو أحد أخوتي أو أحد خصياني أو أحد الناس الذين هم في يدي وإذا ذهبوا الى حلب فلا ت(قد) م له[م] مؤناً ولا تقل لهم « أبقوا مطمئنين في مكانكم » لا تختلس مني نفوسهم بل عليك أن تقبض عليهم وتعيدهم الي ، واذا لم [يقيم] وا في بلادك فأسرهم حيث كانوا حتى أوافي المكان بنفسي وأقبض عليهم . ولكن اذا اختلست مني نفوسهم وقدمت لهم مؤناً وقلت لهم : « أبقوا في مكانكم ولا تعودوا الى حيث هو » تكون قد خنت هذه المواثيق .

حرية مرور السفراء

وكل الملوك المجاورين لي أو من يكن عاطفه نحوي وأريد أن أرسل له سفيري ليحمل (له رسالة) أو لأي غرض (آخر) حسب ما يلائمني أو يريد أن يرسل لي سفيره فالطريق مفتوحة لي وأنت لا تأمر على في هذه القضية ولا توجه لي مطلباً في [هذا] الموضوع [و] إذا لم (تقم) بذلك تكون قد خ[ن]ت هذه المواثيق .

الانتقام للملك إذا ما اغتيل

وإذا أحد من اخوتي أو أحد من بيت أبي أو أحد أولادي أو أحد ولاتي أو أحد ضب[اطي] أو أحد الناس الذين هم ملك يميني أو أحد أعدائي طالب برأسي ليميتني ويميت ابنى وذريتي وإذا قتلني ، فأنت تبادر وتنتقم لدمي من أعدائي ، وابنك يأتي ينتقم لدم ابني من أعدائه وحفيدك يأتي ينتقم لد[م ح]فيدي وذريتك تأتي وتنتقم لدم ذريتي واذا كانت مدينة فاضربها بالسيف وإذا كان أحد أخوتي أو أحد خدمي أو [أحد] ضباطي أو أحد ملك يميني فاضربه ؟ وذريته وكباره وأصدقائه بالسيف . واذا لم (تقم) بذلك تكون قد خنت كل آلهة المواثيق (المذكورة) في هذه الكتابة .

ألا يقوم بنفسه بمشروع لقتل الملك

وإذا خطر بقلبك أو عبَّرت بشفاهك عن (نية) قتلي و (إذا) خطر بقلب حفيدك

وعبّ (ر) بشفاهه عن (نيـة) قتل حفيدي أو اذا خطر بقلب ذريتك وعبّرت بشفاهها عن (نية) قتل ذريتي وإذا خطر ب[ق]لب ملوك أرباد . . . . . ، وفي جميع الحالات التي يموت فيها ابن رجل ، تكون قد خنت جميع آلهة المواثيق (المذكورة) في هذه الكتابة .

عدم توسيع شقة نزاع محتمل بين أبناء الملك من أجل وراثة العرش

واذا ابن[ي] كان في نزاع مع أحد أخوته الراغبين في الصعود الى العرش أو يريد أزالته فلا تضع لسانك بينهما و (لا) تقل له : « اقتل أخاك » أو اسجنه و [لا] تتركه . [و] إذا كنت حسن النية بينهما فلن يقتل ولن يسجن (أخاه) وإذا لم تكن حسن النية بينهما تكون قد خنت هذه المواثيق .

عدم تخطئة الملك في حالة تبادل الفارين

وال[م]لوك المجاورين إذا هرب فارٌ مني نحو أحدهم أو فر هاربهم وأتى إليّ واذا أعيد فارّي سأعيد [فارّهم] [ولا] تجعلني مخطئاً وإذا لم (تقم) بذلك تكون قد خنت هذه المواثيق .

عدم الكيد أو التآمر على الملك

ولا تضع لسانك في بيتي لا بين أولادي ولا بين اخ[وتي ولا بين ذ]ريتي ولا بين شعبي و (لا) تقل لهم : « اقتلوا سيدكم وليخلفه فلان » لأن ذلك لن يكون حسناً من جهتك وسوف ينتقم احد [لدمي وإذا أنت] ارتكبت عذراً ضدي أو ضد أولادي أو ضد ذريتي تكون قد [خ]نت كل آلهة المواثيق (المذكورين) في هذه الكتابة .

بند حول اراضي مدينة تلئيم

وتلئيم وقراها ومواطنوها وأرضها (تخص) أبي و [بنيه الى] الأبد ولكن عندما ضربت الآلهة بيت [أبي أصب]حت لغيره والآن قامت الآلهة بإعادة بي[ت أبي وكبيراً أصبح بي]ت أبي وعادت تلئيم الى [بارغايا]ه وإلى ابنه وحفيده وذريته إلى الأبد و [إذا] كان ابني في نزاع و (إذا) [حفيـ]دي كان في نزاع و (إذا) ذريتي كانت في نزاع [مع ذريتك (؟) في مو]ضوع تلئيم وقراها ومواطنيها فمن يأخذ (؟) . . . [. . . . . ملو]ك أرباد (. . . . .) . . . تكون قد خنت هذه المواثيق .

وعد بشأن التابع الامين

واذا [. . . . . — . . . . — . . . .] وسيغرقون

بالمدايا كل ملك . . . . . . — . . . . كل م [اهو جميل وكل ماهو طي [ب .]

. . . .

* * *

ملاحظات كتابية ولغوية

الكتابة في الأنصاب الثلاثة من نموذج واحد تم وضعها حوالى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ُبعيد كتابات كيلامو وزاكير وبنامو الأول وقبيل كتابتي بار كوب وآزي توادا . الحروف ارتفاعها وسطياً سنتمتران وقد نقشت بعناية ولكن الأعراض الطارئة على الحجر جعلت الإزميل ينحرف أحياناً كما أن عيوب الحجر كانت تضطر الكاتب إلى شطحها ومواصلة الكتابة بعدها ، وليس هناك أي دليل على أن هناك عدة كتاب في الأنصاب الثلاثة . أما من حيث اللغة فلنذكر دون الدخول في التفاصيل أن الكتابات المنقوشة على الأنصاب الثلاثة هي حتى الآن أعظم وثيقة لمعرفة اللغة الآرامية الكلاسيكية في العهد القديم . وليس لدينا من العهد الآرامي الملكي الذي يبدأ في القرن الحادي عشر وينتهي في القرن الثامن قبل الميلاد من اللغة الآرامية الكلاسيكية سوى كتابتين هامتين هما كتابة زاكير ملك حماه وكتابة بار كوب ملك سامال . وتشكل كتابات السفيرة مجموعة أغزر أربع أو خمس مرات ، تسمح لنا بتقرير حقائق لغوية جديدة تتعلق باللفظ والتركيب والنحو والمفردات ، ويتضح من ذلك أن اللغة الآرامية لم تكن « لغه بربرية » بل لغة متطورة تتلاءم مع جميع حاجات الحضارة الزاهرة ، لغة مماثلة في الجوهر للغة التي نجدها فيما بعد في مختلف وثائق اللغة الآرامية القديمة سواء وثائق العهد الفارسي أو اللغة الآرامية التي أصبحت لغة رسمية في دواوين الاخمينين (الآرامية المسماة بالامبراطورية) التي عرفت انتشاراً واسعاً .

طابع المعاهدة العام

إن نص الأنصاب الثلاثة واحد ، لمعاهدة واحدة ، مع اختلاف طفيف بين واحد وآخر والمقابلة

بين النصوص الثلاثة لن تعطينا سوى نتائج محدودة لأن النصين الثاني والثالث لا نعرف منها سوى أجزاء بسيطة كما أن كتابات النصب الأول ذاتها بعضها يشكو النقص والالتباس .

ولكن مما لا شك فيه أن المعاهدة التي نحن بصددها هي معاهدة تبعية فكل بنودها يمليها ملك كتك على ملك أرباد وكل الالتزامات منصبة على الأخير ولا يربط ملك كتك نفسه بشيء فالطاعة العمياء مطلوبة من ملك أرباد واللعنات منصبة عليه إذا خان ملك كتك .

وهذا النوع من المعاهدات أصبح الآن معروفاً جداً عن عالم الشرق القديم . فالمعاهدات الحثية في القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق . م تنقسم إلى نوعين معاهدة الند للند ، ومعاهدة التبعية ومعاهدة السفيرة هي النوع الثاني .

ونعرف لدى الآشوريين عدة معاهدات تبعية منها معاهـــدة آشور نيراري مع ماتي إيلو ـ ماتي عل المذكور في معاهدتنا الآرامية ـ من عام ٧٥٤ ق . م ومعاهدة اسار حادون مع ملك صور المدعو باعال ، وخاصة المعاهدات التي فرضها اسارحادون المذكور على تابعية الايرانيين في عام ٦٧٢ ق . م والتي وجد نصها في نمرود (كلح القديـــة) عام ١٩٥٥ خلال حفريات الأستاذ مالوان .

ومن المفيد جداً أن نقارن بدقة معاهدة السفيرة مع المعاهدات الحثية والمعاهدات الآشورية أو مع وثيقة من أصل يوني متأخر كثيراً وهو من فئة معاهدات الند للند وهو الميثاق الشهير المعقود بين هانيبال وفيليب المكدوني عام ٢١٥ ق . م والذي يدل على أن الدواوين اليونية كانت حتى ذلك الوقت ما زال تحتفظ بالشيء الكثير من الديباجة الشرقية .

ولا يسعنا هنا القيام بتلك الدراسة المقارنة مهما كانت مفيدة لتفهم معاهدة السفيرة وبصورة عامة لتفهم الحقوق الدولية القديمة فلنكتف بالقول إن المعاهدة وإن كانت متأثرة بصيغة المعاهدات الآشورية فإنها أقرب ـ على ما نرى إلى المعاهدات الحثية ، فنرى في المعاهدة التي فرضها الملك الحثي مرسل الثاني على الملك الآموري دوبي ـ تيشوب (القرن الرابع عشر ق . م) تقريباً نفس العبارات والمواثيق .

* * *

النتائج التاريخية

ذكرت مملكة أرباد أو وبيت آجوسي في عـــدد من النصوص الآشـــورية .

وفي نصب زاكير حوالي عام ٨٠٠ ق . م يرد ملك أرپاد باسم بارجوس في قائمة الملوك المتحالفين مع ملك حزرك . ويأتي ترتيبه مباشرة بعد بار حدد ملك دمشق وقبل ملوك كي والعمق وجرجوم وسامال . وميليز . ويعتبر موقع أرپاد في تل رفعة على بعد حوالي عشرين كيلو متراً شمال حلب أي على بعد ٤٥ كم من السفيرة . وكانت أرپاد في القرن الثامن عاصمة مملكة هامة تشغل المكان الثاني بين الممالك الآرامية في ذلك الوقت والمكان الأول كان لمملكة دمشق .

ولكن من هو الملك بارغاياه الوارد في كتابات السفيرة والذي هو أعلى من ملك أرپاد والذي هو من القوة بحيث يعامل الأخير كتابع له ؟ إننا لا نجد لبارغاياه ولا لكتك ذكراً إلا في هذه المعاهدة الآرامية . وقد أعلن الأب رونزڤال منذ عام ١٩٣١ حين نشر النصب الأول أن الموقع الصحيح لبلاد كتك غير معروف ... ولكن لانعدو الحقيقة إذا ما جعلناه في المنطقة التي تحدها من الشمال حلب ومنطقتها وفي الشرق والجنوب الشرقي هضاب الحصى ومملحة الجبول والفرات ... وفي الغرب هضاب جبل سمعان وفي الجنوب والجنوب الغربي السهل المؤدي الى منطقة حلب . رقعة صغيرة على كل حال ولكنها تماثل الإمارات الصغيرة المعاصرة التي نشأت إثر ضعف المملكة الآشورية القديمة .

وبعد قليل أيد المستشرق الألماني آلت الفرضية نفسها وارتأى أن مملكة كتك قد تكون ذات أهمية ثانوية وقد تكون أراضيها تشمل حوض بحيرة الجبول وقد تكون معها المناطق المجاورة لهذا الحوض . وإذا كانت الوثائق الآشورية أغفلت ذكر كتك فقد يكون مرد ذلك إلى كونها اقليماً داخلاً في مملكة كبيرة ، وقد تكون أرپاد نفسها ، وقد يوضح مثل هذا الوضع التركيب الداخلي للعالم السياسي السوري قبل تغلات فلاصر الثالث وفي عهده . فمملكة مثل أرپاد تتألف من مجموعة معقدة من الإمارات الصغيرة يحتفظ أمراؤها بنوع من الاستقلال ويرتبطون جميعاً بعاهل أعلى مشترك ، وكتاب الحوليات الآشورية لايذكرون إلا الوحدات السياسية الكبرى . وقد تكون أرپاد عاصمة اتحاد فيقتصر الآشوريون على معرفتها وذكرها وكتك هي « كيان سياسي أقل شأناً بكثير » وتابع يدور في فلك أرپاد .

وفي الواقع إن كون كتك في معاهدتنا تابعة لأرپاد هي فكرة يعترضها ماورد في النص اعتراضاً مطلقاً . إذ أن بارغاياه لا يبدو أدنى بل ولا نداً لماتي إيل ولكن يبدو كسيد عليه .

وبالمقارنة مع معاهدات التبعة الآشورية نجد أن الشخص المذكور في المقام الاول هو السيد ونحن نجد في عنوان المعاهدة : مواثيق بارغاياه ملك كتك مع ماتي عل ملك أرپاد ....

وقد كان لكانتينو ، على أساس النص الأول فقط ، شرف السبق منذ عام ١٩٣٠ في الاستدلال على أن بارغاياه هو السيد وليس ماتي عل وأن بارغاياه ، إذ يعامل ملك أرپاد كتابع له ، لابد أن يكون من أهم حكام العالم الآرامي في ذلك الوقت ولا يمكن أن يكون إلا ملكاً بارزاً على دولة من أكبر دول الشرق الأدنى في ذلك العصر ، وذلك أيضاً هو رأي ج . دوسان وبناء على هذه الحقيقة التي يبدو لنا أنها لا تُدحض اقترح الكاتبان أن تكون كتك هي آشور وبارغاياه هو آشور نيراري الخامس صاحب المعاهدة الآشورية الشهيرة مع ماتي عل ، وبذلك تكون الوثيقة الآشورية والوثيقة الآرامية في الحقيقة نسختين لمعاهدة واحدة هي التي فرضها آشور نيراري على ماتي عل عام ٧٥٤ ق.م .

وقد دهش كانتينو من الشبه بين الوثيقتين حتى أن نفس الكلمة استخدمت للمواثيق (آدي الآشورية ، آدين في الآرامية) ونفس الآلهة الشهود ونفس صيغ اللعنات . وإذا كان ملك كتك له مثل هذه السلطة الاستثنائية فمن يكون سوى ملك آشور . ولكن إذا لم تذكر المعاهدة الآرامية اسم اشور نيراري أو الاله آشور أو بلاد آشور فذلك « إغفال مقصود » وبارغاياه الذي يعني في الآرامية « ابن الجلالة » « الابن المبجَّل » يكون اسماً مستعاراً لآشور نيراري ، وكتك تشويه مقصود لاسم العاصمة الأشورية كلح والغاية من هذه الاسماء المستعارة هي ألا يدنس العدو اسم الملك أو بلاده أو يعرضها لأذية سحرية .

وتختلف نظرية ج . دوسان قليلاً فقد رأى أن بارغاياه وكتك كلمتان سريتان ، وحاول بمهارة أن يكشف عما يكون الكتاب قد احتالوا به ليجعلوا كتك تعادل آشور وبرغاياه آشور نيراري . ونرى أن هناك أسباباً هامة تعترض وجهتي النظر السالفتين ولنلاحظ بصورة خاصة أن اسم آشور وارد صراحة في النص الأول كطرف ثالث وكبلد عدو . وبذلك تنهار نظرية الاسم المستعار ونظرية الكتابة السحرية . وهناك من ناحية ثانية على النص الثاني لعنة موجهة لمن يتلفظ بالكلمات التالية : « . . . سأمحو كتك وملكها » فإذا كان اسم آشور (أو كلح) قد بدل عمداً لينجو من أذى العدو فلن تخشى آشور ولا ملكها من وقوع الأذى على الاسم المستعار .

ثم إن هناك وسيلة أخرى كان يستخدمها القدماء للحفاظ على الكتابات ومنع تشويهها أو تحريف معناها وذلك بأن يعمدوا إلى أن يوردوا في الوثيقة لعنات فظيعة تنصب على من تسول له نفسه الأذى بالكتابة . وكم من نصب أقامه الملوك الأشوريون في البلدان المغلوبة والمعادية وأوردوا فيه اسمهم واسم آشور المظفرة وآلهتهم ومدنهم بوضوح دون استعارة أو تورية . وهل هناك مثل واحد في أنصاب ملوك آشور على اسلوب الحيطة الذي تخيله كاتنينو ودوسان ؟ وإذا كانت معاهدة برغاياه تشبه معاهدة آشور نيراري من نواح كثيرة فإن هناك اختلافات عديدة تمنع على مانعتقد من اعتبارهما معاهدة واحدة وبصورة عامة إن هذه المعاهدة الآرامية هي أقرب شبهاً من نماذج المعاهدات الحثية وتحمل طابع الديوان الحثي ، فمن هو هذا الديوان وماهي كتك هذا البلد العجيب ومن هو بارغاياه الملغز ؟

وفي عهد ماتي عل لم يكن هناك في الواقع سوى دولتين تستطيعان فرض الوصاية على مملكة أرباد القوية وهما آشور وأورارتو . وقد كان أخضاع آشور نيراري الخامس في أول عهده لماتي عل قصير الأمد ، إذ أن المصاعب الداخلية اضطرته إلى تخفيف الوطء على تابعيه ، وكان عهده اجمالاً عهد ضعف وانحطاط . أما ملك أورارتو ساردور الثالث فقد كان في قمة مجده ، وسع امبراطوريته ، ومد سلطته ودعمها في حوض نهر الرس شمالاً في أرمينيا ، وفي الغرب فرض الجزية على ميليد وقموح في قلب سورية واحتل حلب نفسها . ومن المحتمل جداً أن يكون سعى لجر ماتي عل إلى الثورة على الأشوريين رغم المعاهدة التي تربطه معهم وأن يدخل في تحالف ضد آشور . وفي الواقع إن الحوليات الآشورية ذكرت لنا أن في عهد تغلات فلاصر الثالث خليفة آشور نيراري الثالث « ثار ساردور ملك أورارتو على ملك آشور وتحالف مع ماتي ايلو » وفي هذه السنة (٧٤٣) تذكر قائمة الأسماء : « في مدينة أرباد ، جيش أورارتو مهزوم » ويلاحظ في هذه النصوص أن أرباد وأورارتو مقترنان عمداً بطريقة ذات مغزى كبير . وتروي لنا وثائق آشورية أخرى بالتفصيل كيف هزم تغلات فلاصر الثالث الحليفين الاوراري والأرامي ، واضطر ساردور إلى الانكفاء مجتازاً الفرات ومتخلياً نهائياً عن اطماعه في سورية ، ولكن قبل هذا الفشل الذريع أما كانت هناك معاهدة تربط الدول

الآراميه وخاصة بين أرباد وأورارتو ؟ فإذا لم نكن مخطئين فإن أنصــاب السفيرة تنقل لنا بالضبط نص هذه المعاهدة الأوراتية الأرامية .

وعلى هذا فماتي عل كان حليف الآشوريين وتابعهم ثم ثار عليهم عند تقدم ملك أورارتو في سورية الشمالية وأصبح حليفه ، فالمعاهدة الآشورية تعود للمرحلة الأولى من حكمه والمعاهدة الأرامية المنقوشة على أنصاب السفيرة تعود للمرحلة الثانية ، وإذا أقبلت فرضيتنا تكون هذه المعاهدة هي الشاهد المباشر على هذه الفترة القصيرة من تاريخ الشرق الأدنى التي انتهز فيها ساردور الثالث ملك أورارتو فرصة الضعف الموقت لدولة آشور ففرض سلطته على ســورية الشمالية وجعل من نفسه سيداً على الأمراء الآراميين وعلى ملك أرپاد .

وقد يفهم من هذه الفرضية القائمة على الظن ، أن ساردور عمل على تحرير المعاهدة بالآرامية لا بالأشورية التي هي لغة العدو المشترك ، أي بلغة حلفائه السوريين التي كانت على وشك أن تحل محل الأشورية كلغة دولية .

كما قد يفهم أيضاً أن ساردور اختار أمام العالم الأرامي اسماً أرامياً : بارغاياه الذي يعني « ابن الجلالة » أي « الجليل » « المبجّل » كما شرحه كانتينو . وانتقاء مثل هــذا اللقب طبيعي من قبل ملك كان يطمع بالقضاء على السلطة الأشورية ونقل السيادة على الشرق الأوسط إلى أورارتو ، واسم بارغاياه في هذه الفرضية ليس اسم مستعاراً أو ملغوزاً ولكنه « اسم ثان » قد يكون ساردور استخدمه بصفته سيد العالم الآرامي وسيد أورارتو الواسعة . وكان استعمال اسمين في عــالم الشرق القديم مألوفاً فقد برهن أ . ج . جاب على أن ملوك الحثيين كانوا يحملون اسمين واحداً لرعاياهم الحثيين والآخر لرعاياهم اللوفيين ، وفي دولة سمأل الحثية الحديثة نجد للملك كيلامو علاوة على اسمه الأصلي على مايظهر اسم آرامي هو بار تمّه « ابن التام » أي « التام » ولنذكر أن تغلات فلاصر الثالث كان يدعى بصفته ملكاً على بابل باسم پولو « پل في التوراة » وشلمناصر الخامس يسمى أولولاي والأمر كذلك حتى عند ملوك اسرائيل .

وإذا كان ملك كتك هو ملك أورارتو فاننا نفهم من ذلك أن المعاهدة التي فرضها على أرپاد شملت في الوقت نفسه « آرام بأسرها » « آرام العليا والسفلى » و « مصرو » وآرام

كلها هي مجموعة الدويلات الآرامية بما في ذلك حماة ودمشق، وآرام العليا هي غالباً الآراميون في حوض الفرات الأعلى. وآرام السفلى هي آراميو حوض الفرات الأسفل. لقد أدخل ملك أوراتو إذن العالم الآرامي طوعاً أو كرهاً، بالنية أو بالفعل، في حلف ضد الأشوريين أما مصرو فيبدو أنها مصرو الواقعة في كبادوكيا، الأمر الذي يتمشى تماماً مع مانعرفه من امتداد نفوذ أورارتو نحو آسيا الصغرى في عهد ارجيستيس الأول وساردور الثالث. وهناك فقرة أخرى مشوهة جداً لسوء الحظ تصف على مايظهر المدى الواسع الذي يشمله التحالف الأورارتي الآرامي إذ يمتد حتى « لبنان » المذكور بوضوح في الفقرة. ويبدو أن تتمة الفقرة تذكر أن التحالف يمتد حتى دمشق والإمارات الآرامية في الجزء السفلي من بلاد مابين النهرين وبذلك تكون بلاد آشور مطوقة تماماً من الشمال أورارتو، ومن الغرب والجنوب والجنوب الشرقي العالم الآرامي الذي كانت أرپاد من أهم عواصمه.

بقي أن نفسر في فرضيتنا كلمة كتك نفسها، ففي الوثائق القديمة كانت لاورارتو اسماء مختلفة لدى الأشوريين تسمى أورارتو أو نايري ولدى الأورارتيين بلاد بيايانا، ولم يذكر اسم كتك في أية وثيقة فهل يمكن أن نفترض أن كتك قد تكون اسم مدينة أسسها ساردور وجعلها على الأقل خلال فترة من عهده عاصمة له أو إحدى عواصمه؟ وحول هذه النقطة علينا أن ننتهي حالياً إلى أن الأمر غامض. ولكن مرة أخرى، خارج أورارتو أية مملكة كانت آنئذ من القوة بحيث تملي قانونها على ملك أرپاد؟

* * *

الالهة الشهود

إن التدقيق في قائمة الآلهة الشهود الواردة في أول معاهدة بارغاياه ليدل عل أن هذه الوثيقة ليست من أصل آشوري مباشرة ولكنها تستمد من وسط آخر. وهي كالمعاهدات الحثية تنتهي قائمة الآلهة فيها بذكر القوى الطبيعية المؤلّهة. وفي الحقيقة إنها تتضمن بعض الآلهة البابلية الوارد ذكرها في معاهدة آشور نيراري الخامس. ولكن الملاحظ بوضوح أنها لاتتضمن أي إله آشوري أصلي. وإذا كانت المعاهدة آشورية فلا بد أن تبدأ باسم آشور ومع الاسف إن اسم

الآله الأول في القائمة ممسوح ولدينا الثاني الذي لابد أن يشكل زوجاً مع الأول، واسمه ملش وهو لم يعرف ولكنه بعيد عن مجمع آلهة آشور وآلهة الساميين كلها فهل هو من آلهة أورارتو. ولنذكر من ناحية أخرى أن القائمة يرد فيها إيل وعليون وهما فينيقيان. وعلى الجملة إنها تضم مختلف آلهة البلاد التي يضمها التحالف الأورارتي الأرامي من دون آلهة آشور.

ولنذكر أن حدد إله العاصفة الأرامى له مكان الصدارة في صيغ اللعنات. وعلاوة على ذلك من المهم جداً أن نجد حدد مشتركاً مع الآلهة آناهيتا. فورود اسم هذه الإلـهة الايرانية الشهيرة في نص آرامي من القرن الثامن ق.م هو بمثابة مفاجأة كبرى. وقد لاقت هذه الإلـهة فيما بعد رواجاً كبيراً في العالم السامي ووحدت مع عشتار واستارته وعبدت في العهد الهلنيستي باسم آنايتس. وكان أول ذكر لها خارج ايران في نصب السفيرة. ومن غير المحتمل أن يستعيض ملك آشور عن عشتار الإلـهة الأشورية البابلية الكبرى بإلـهة أجنبية ومن المعقول أن يذكر آناهيتا ملك غير سامي كملك أورارتو مثلاً.

وعبادة آناهيتا قد تكون دخلت اورارتو بتأثير جيرانها الميديين الذي يتجلي كما نعلم بمختلف الأشكال في الحضارة الأورارتيه.

النُصُب : الآلهة

لنذكر حقيقة أخرى تتعلق بتاريخ الأديان. وهي مـاورد في النصب الثاني من تسمية الأنصاب التي نقشت عليها المعاهدة بيتي إلـهي « أي بيوت الآلهة » وقد تكرر ذلك ثلاث مرات في فقرة واحدة. وعلى مانعلم ذلك هو أول نص تظهر فيه بالسامية كلمة « بيتيل » دالة عـلى حجر مقدس وفي الفينقية والعبرية كانت تسمى بيت إل (في الأرامية بيت إله) ونقلها اليونان بشكل « بيتوليون » وعرفت بالفرنسية بكلمة « بيتيل » التي أصبحت مألوفة في تاريخ الأديان. وقد روى فيلون الجبيلي أنها (أي البيتوليا) « حجارة متحركة » وإذا وصفت أنصاب السفيرة عمداً ببيوت الآلهة فمعنى ذلك أن تأثيرات مقدسة تشيع فيها وتجعلها شواهد حية على الأيمان المتبادلة.

ونرى نفس المفهوم ينعكس في التورات ففي سفر التكوين . . . ها إن هذا الحجر سيكون شاهداً علينا لأنه سمع كلمات يهوه كلها . . . »

وعلى هذا فالحجر المقدس شاهد يسمع، وهو كذلك شاهد يتكلم، والكتابات المنقوشة عليه لها صوت وهي تعتبر حقيقة فعالة بصورة سحرية، وهي حية تند عنها الكلمات المنقوشة على الحجر. وتعسا لمن يجرؤ على محو هذه الكتابات المقدسة. والفقرة التي ذكرناها آنفا من النصب الثاني تقول على لسان من يعتدي على حرمة النصب «ساعدم الكتابات...» والفعل المنتخب هو أبادَ الذي يعني أعدم، أمات، إشارة للطابع السحري لهذه الكتابات التي هي لأنصاب «بيوت الآلهة» حية «متحركة».

✡ ✡ ✡

طقوس التحالف

وحضور الأنصاب ـ الشهود في احتفالات ابرام الحلف أو المعاهدة معروف من فقرة أخرى من التوراة... وأنصاب السفيرة شهود التحالف المبرم بين بارغاياه وماتي عل أقيمت على ما يظهر عند الاحتفالات بإبرام الميثاق.

وكانت الأنصاب في معبد المدينة طبعاً. ولا بد أن العقد أبرم هناك أمام الآلهة، أما الطقوس التي جرت عند ذلك فيوضحها لنا النصب الأول. فهناك قراءة سلسلة من صيغ اللعنات ولنذكر الطقوس التي أشير إليها في النصب مع مغزاها:

١ً ـ يحرقون نموذجاً من الشمع يمثل مدينة. واحتراق الشمع يرمز إلى حريق مدينة أرپاد.

٢ً ـ ويحرقون دمية من الشمع تمثل ملك أرپاد وبهذا الشكل يموت ماتي عل.

٣ً ـ يكسرون قوساً وسهاماً حتى يتكسر قوس ماتي عل وقوس كباره.

٤ً ـ تسمل عينا دمية من الشمع، وذلك يعني أن ماتي عل قد ينال نفس العقاب.

٥ً ـ يذبحون عجلاً ويقطّعونه لكي «يقطّع ماتي عل ويقطّع كباره» بنفس الشكل.

٦ً ـ يمثلون بشكل ما عبداً وهو «يخدم» وتلك صورة عبودية نساء ماتي عل ونساء كباره.

٧ً ـ «ترفع» دمية من الشمع تمثل امرأة وتضرب على وجهها: رمزاً للمعاملة السيئة التي تعامل بها نساء ماتي عل.

وطبعاً كل هذه اللعنات مشروطة ، لاتشيع فعلها السحري إلا إذا خانت أرپاد أو خان ملكها المعاهدة المبرمة أمام الآلهة .

ومثل هذه الطقوس لم تكن معروفة في الشرق القديم فحسب بل في العالم اليوناني والروماني ولكن من النادر أن نراها موضحة بالشكل الوارد في نص المعاهدة ، فهي تغني الملف المتعلق بالشعائر القديمة عند القسم والتحالف بقطعة فريدة وتوضح بشكل مجسم مفهوم « التحالف » (بيريت) نفسه وهو من أهم مفاهيم العالم السامي القديم ومن المفاهيم الأساسية في التوراه .

اندره دو بون سومير